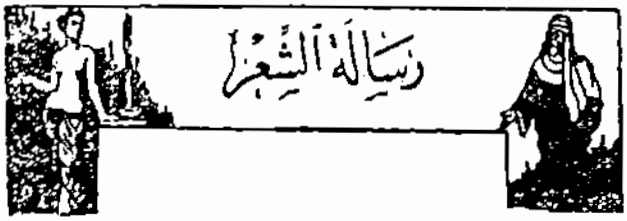

شعلة المجد

مرثية فقيد الوطن المرحوم الدكتور عزيز فهمي

للأستاذ حسن كامل الصيرفي

خل العزاء فما يفيد عزاء ... ساد الظلام وغامت الأضواء

الشعلة انطفأت ، وكان وراءها ... المدلجين الحائرين رجاء

خل العزاء ودع لدمعك سيله ... متدفقا ، فهنا يطيب بكاء

خل العزاء فلست تملك منطقا ... متماسكا إن هبت النكباء

الشعلة انطفأت ، وأية شعلة ... كانت ؟ تبارك نورها الوضاء !

صك الأسى مسامعي فأحالني ... شبحا تطير بلبه الأنباء

مات العزيز ، فمات جيل كامل ... المجد تقبم خطوه العلياء

لهفي على الآمال يصدع ركنها ... قدر ، ويهدم أمن قضاء

يا راقداً في حفرة محصورة ! ... كانت تضيق بروحك الأرجاء

أي المواهب فيك أبكي إنها ... يعيا بحصر كمالها الإحصاء !

الشاعر الحي الشعور ، نشيده ... من قلبه ذوب ومن إيمانه الإيحاء

والكاتب العذب البيان ترسلا ... يزهو بسحر بيانه الإنشاء

والمدره الطلق اللسان مدافعا ... لا الجاه غايته ولا الإثراء

والنائب الحر العقيدة هاتفا ... بالحق لا ضعف ولا استخذاء

تخذ الصراحة مبدأ وعقيدة ... لم توحها حزبية عمياء

وطنية تسمو على أمثالها ... ويكل عن إدراكها القرناء

ومجاهد ثبت الفؤاد مكافح ... لم يثنه سجن ولا إيذاء

لهفي على تلك الخلال تضيعها ... في لحظة سيارة رعناء !

عوجلت والوطن الحزين بحاجة ... لمواهب لم تذكها الأهواء

شقت عليك جيوبهن حرائر ... وبكى لهول النكبة البؤساء

كم أدمع كفكفتها ، ومصائب ... واسيتها ! والنبل فيك تراء

تسمى إلى الخير العميم مطامحا ... هاماً ، فلا زهو ولا استعلاء

كنت الشباب مجملا برزانة ... والمكرمات يزينهن حياء

كنت الإخاء النبر أصفى جوهرا ... وأعز ما صدق الوفاء إخاء

حلو اللقاء سجية وطبيعة ... ما في خلالك صنعة ورياء

أدب كؤوتاق الضياء عرفته ... وشمائل علوية سمحاء

وإذا دعتك الحادثات تلفقت ... بدك الدهاء ، فلا يخيب دهاء

متقدما الموت لا متهيباً ... والموت عندك صنوه الإبطاء

ما زلت تسبقه إلى حوماته ... حتى طغت في الغفلة الهوجاء

فذهبت يا زين الشباب رواية ... للناس أروع ما روى الندماء

كانت حياتك نفحة علوية ... حسدت على النعمى بها الشعراء

ما طال عمرك في الحياة وإنما ... طال التحدث عنك والأصداء

وما كان إلا النار في كل موضع ... تثير غبارا في مكان دخان

فنال حياة يشتهيها عدوه ... وموتا يشهي الموت كل جبان

إن التعبير ينطق صارخاً : يا كافور ، أيها الجبان ، إنك لن تنال شرف الميتة التي ماتها عدوك ، فأين أنت منه يا عدو البطل الراحل ؟

ويصف الشيخ شاعر العربية المتنبي بأنه « مداح فقط » وما أثقل كلمة « فقط » هذه .. فأين حكمة المتنبي إذن ، وأين خبرته بالنفوس ، وأين تصويره للطبائع البشرية ، وأين أحكامه الدقيقة العميقة على الحياة والأحياء ؟ .. وثالثة الأثافي أن يصف المتنبي بأنه « ضيق الباع » ! .. ما شاء الله ! .. رحم الله المتنبي يوم جلجل بصوته فردد أبياته التي اختتمها بقوله :

فيا موت زر ، إن الحياة ذميمة ... ويا نفس جدي إن دهرك هازل !

أما بعد ، فللنقد أصوله وقواعده ، إذا توافرت فيه وجب الخضوع له والرجوع إليه ، وإذا عدمها كان تطاولا أو جهلا ؛ ولست أدري مبلغ القواعد التي استند إليها أو نهض عليها نقد الكاتب الصديق ، بعد ما قدمت من حديث وقل سلام !

أحمد الشرباصي

أو بعد أن لجت بنا الظلماء ... واستبهمت في الظلمة والحيناء

وتحطمت في الصخر كل سفينة ... وتناثرت في اللجة الاشلاء

وتأب الموج للغضوب فلا ترى ... إلا جبالا ساقها الهوجاء

لا الشط وضاح المعالم مشرق ... أبداً ، ولا تتكشف الأنواء

نجد العزاء ! ونحن أعجب صورة ... لا نحن أموات ولا أحياء

الشعلة انطفأت ، وأية شعلة ... تهب الضياء ، ومالها أكفاء !

خل العزاء فنحن في هول طغى ! ... في كل أفق محنة وبلاء